

علمت لانج بعد ذلك أن الأسرة كانت غير قادرة على الحركة: بعد أيام من عدم تناول أي أطعمة باستثناء الخضراوات المجمدة التي يتم الحصول عليها من الحقول، قامت الأسرة ببيع إطارات السيارة الخاصة بها لشراء طعام.

وفي فترة زمنية مدتها عشر دقائق، استطاعت لانج تصوير المشهد الحقيق، حيث اقتربت بصورة أكبر من هدفها مع كل عرض. كان العرض الأخير هو المشهد الأقرب للسيدة وأطفالها الثلاثة والمعروف لدينا الآن باسم "الأم المهاجرة". من خلال تلك الصورة، أحرزت لانج الأهداف التي خطت لتنفيذها لأجل جمعية إعادة التوطين. أوضحت لانج قائلة "كان تسجيل الأشياء المتعلقة بأولئك الأشخاص—عزيمتهم، قوتهم، روحهم أكثر أهمية من تصوير مدى الفقر الذي وصلوا إليه."

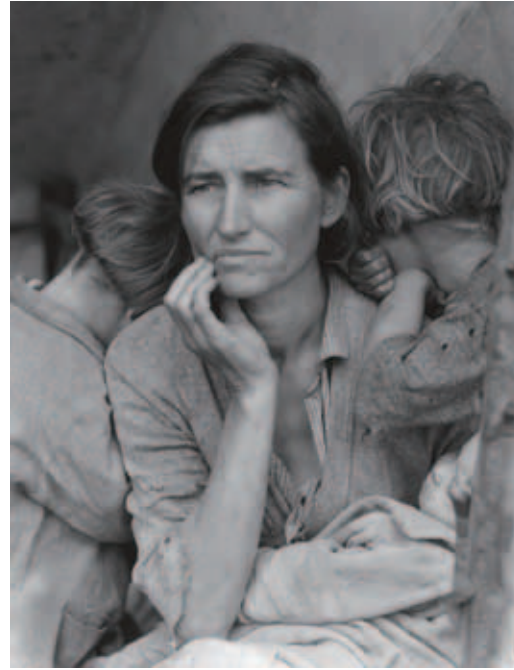
لم يتم التقاط صورة "الأم المهاجرة" بتفاصيل مستقلة لمخيم منتقي البازلاء—المنظر الطبيعي الكثيب والأرض الموحلة، الخيام الممزقة وشاحنات النقل والتوزيع المتهدمة. استحضرت الصورة بقدر كبير حالة الشك واليأس الناتجة عن الفقر المتواصل. أدى تجمع جبين الأم ووجود تجاعيد شديدة في وجهها إلى جعلها تبدو أكبر من سنها في ذلك الوقت (اثنين وثلاثين سنة). كانت يدها اليمنى تلمس حافة فمها المستديرة لأسفل في إشارة لا إرادية عن القلق. كان كم ثوبها ممزقاً وفستانها مهملاً؛ حيث أظهرت صورة أخرى من بين الصور التي التقطتها لانج الأم وهي ترضع الطفل الصغير الذي يرقد حالياً نائماً في حضنها. بدا واضحاً قيام الأم بفعل كل ما في وسعها لرعاية أسرتها حيث لم يعد لديها أي شيء يمكنها القيام به بعد ذلك. كان الأطفال الأكبر سناً يضغطون على جسمها في رغبة صامتة للحصول على الراحة، لكن يبدو أنها كانت غير منتبهة لهم ولكاميرا لانج التي تقوم بتصويرها. لم تعرف لانج نفسها سوى قدر مختصر من التفاصيل الخاصة بالمرأة؛ إنها لم تعرف اسمها مطلقاً، أو أن تلك المرأة أمريكية هندية أصلية نشأت في أو كلاهما، في المقاطعة الهندية لقبيلة شيروكي.

قامت لانج بطباعة الصور واخذتها إلى صحيفة «سان فرانسيسكو نيوز» وذلك صباح اليوم التالي لزيارتها المخيم. تم نشر هذه الصورة كصور إيضاحية لمقال يروي الحالة البائسة التي يعاني منها منتقو البازلاء المعدمين، وتم تكرار نشر القصة في الصحف التي توزع في جميع أنحاء الدولة. كانت الصور مثيرة للصدمة والاشمئزاز: إنه من غير المعقول أن يكون العاملون الذين يضعون الطعام على الموائد الأمريكية غير قادرين على إطعام أنفسهم. قامت الحكومة الفيدرالية بشكل عاجل بإرسال عشرين ألف رطل من الطعام إلى العمال المهاجرين الموجودين في كاليفورنيا، وذلك في رد فعل على الصور التي لم تكشف الأسباب الاقتصادية فحسب، وإنما نتائج الفقر التي يعاني منها البشر.

ونظراً لقوتها وفعاليتها كصورة وثائقية، أثبتت صورة «الأم المهاجرة» أنها عمل فني. فمن خلال إبراز الأم في منتصف تركيب مثلثي موضح بصورة كلاسيكية ورأسين صغيرين على كلا الجانبين، حملت الصورة شخصية أيقونية عاطفية ورمزية لأثر كلاسيكي أو «مريم العذراء في عصر النهضة». لم تدرك لانج نفسها الجاذبية الخاصة لهذه الصورة. عند شكوى لانج من الاستخدام المستمر لهذه الصورة وتجاهل الصور الأخرى التي قامت بالتقاطها، كان يذكرها صديق لها بقوله "الزمن هو أعظم المحررين، والأكثر اعتماداً عليه."

كان «الكساد العظيم» قاسياً على الفلاحين بوجه خاص. لم يعاني الفلاحون من أزمة اقتصادية محلية وحسب، وإنما تحملوا سلسلة من الكوارث الطبيعية، شملت الفيضانات والعواصف الرملية التي خربت محاصيلهم الزراعية ودمرت أرزاقهم. هاجرت آلاف الأسر المتبلة بالفقر إلى الحقول الزراعية في كاليفورنيا بحثاً عن عمل، لكنهم وجدوا أن الحياة هناك ليست أفضل كثيراً مما هم عليه. قامت إدارة إعادة التوطين (إدارة أمان المزارع فيما بعد)، إحدى الوكالات التي تم إنشائها بواسطة السياسات الاجتماعية التقدمية التي انتهجها الرئيس فرانكلين ديلاون روزفلت، بتوظيف فريق من المصورين لتوثيق وسائل العيش الخاصة بهؤلاء العمال المهاجرين. كان الهدف من ذلك هو إظهار الحاجة لمساعدة فيدرالية وتبرير وجود قوانين تجعل هذا الأمر ممكناً. كانت دوروثي لانج من بين المصورين العاملين في الوكالة الذين تمثلت مهمتهم، حسب توضيح مدير البرنامج، في "تقديم أمريكا إلى الأمريكيين".

في مارس عام 1936، وبعد إكمال مهمة استغرقت شهراً لإدارة إعادة التوطين، عادت لانج إلى موطنها من خلال مقاطعة سان لويس أوبيسو حيث لفتت انتباهها لافتة مكتوب عليها بشكل واضح أحرف لموقع مخيم خاص بعمال مهاجرين. كانت فطرتها كمصورة، وليست الدواعي المنطقية، سبباً في توقفها كما قالت هي: "لقد تحولت في ذلك المخيم الرطب المندى وأوقفت سيارتي مثل حمامة زاجلة." كان العمال يغادرون عند وصولها، حيث قامت الأمطار التي هطلت متأخراً في الشتاء بتدمير محصول البازلاء، وبالتالي ضاعت أي فرصة للعمل. لكن داخل المخيم، الذي يتم توفير الحماية داخله من خلال خيمة بديلة مؤقتة، وجدت لانج سيدة مهمومة لديها عدداً من الأطفال المهملين.



18-ب دوروثي لانج (1895-1965)، الأم المهاجرة (منتقو البازلاء المعدمين في كاليفورنيا. أم لسبعة أطفال. تبلغ من العمر اثنين وثلاثين سنة. نيبومو، كاليفورنيا)، فبراير 1936. صورة أبيض وأسود. إدارة أمان المزارع، مكتب معلومات الحرب، مجموعة الصور. مكتبة الكونجرس، قسم المطبوعات والصور، واشنطن العاصمة.

صف وحلّل | م | ث

سل التلاميذ عن الملاحظة الأولى لهم عند نظرهم إلى هذه الصورة. من المحتمل أنهم سيلاحظون وجه السيدة. ناقش السبب وراء جذب هذا الجزء من الصورة لانتباهنا. يلعب الضوء على وجه السيدة، يتجه ذراعها الأيمن ويدها إلى وجهها، ويحيط بها الأطفال.

م | ث

صف ملابس السيدة. يدوا كم السترة التي ترتديها رثاً وممزقاً. إنها ترتدي قميصاً بعنق مفتوحة ذا ترابيع تحت سترتها. ما الذي توحى به الملابس فيما يتعلق بحالة السيدة والأطفال؟ إنهم فقراء.

م | ث

ناقش مع التلاميذ كيفية قيام لانج بجذب انتباهنا للسيدة وأطفالها فقط. ما الأشياء التي لم تظهرها لانج في الصورة؟ ما الموجود في الخلفية؟ كلما تحركت لانج مقتربة بشكل أكبر من هذا المشهد، ملتقطه صور عند اقترابها، كانت خلفية الصورة—الخيمة التي تجلس السيدة أمامها تختفي بشكل تدريجي. في هذه الصورة القريبة، تملأ السيدة وأطفالها تركيبة الصورة.

فسّر | م | ث

اجعل التلاميذ يصفون التعبير الظاهر على وجه هذه السيدة. ما الذي تشعر به؟ ما هي الأشياء التي ربما تفكر فيها؟ إنها تبدو محذقة في الفضاء وهي مجعدة الجبين وفمها مستدير لأسفل. إنها تبدو قلقة ومتعبة. ربما تكون في حيرة بخصوص ما ينبغي عليها القيام به لاحقاً أو المكان الذي سيجدون فيه طعاماً.

م | ث

اطلب من التلاميذ تخمين السبب وراء قيام الأطفال بتدوير رؤوسهم بعيداً عن الكاميرا. ربما شعروا بالخجل، أو ربما كانوا خائفين من السيدة الغريبة عنهم التي تحمل كاميرا ويبحثون عن الراحة لدى أمهم. ربما وجهتهم لانج بهذا الشكل للحصول على تأثير أكبر للصورة.

م | ث

لماذا قررت لانج التقاط مثل هذه الصورة القريبة؟ إنها تجعلنا أقرب من الهدف المراد تصويره وتجعله شخصياً بشكل أكبر.

ث

سل التلاميذ عن السبب وراء رغبة إدارة التوطين في توثيق تأثيرات «الكساد العظيم» بالصور وليس من خلال كلمات وإحصائيات فحسب. يمكن أن تكون الصورة تقرير شاهد عيان قوية تتيح للأشخاص الإدراك السريع للحدث والانفعالات المحيطة به.

ث

وضح أن هذه الصورة تم نشرها في الصحف. اطلب من التلاميذ توضيح مدى استجابة الأمريكيين لهذه الصورة من وجهة نظرهم. لقد أصابهم تصوير هذه اللقطة في أمريكا بحالة من الغضب والإهانة؛ حيث تجاوبت الحكومة الفيدرالية من خلال شحن آلاف الأبطال من الأطعمة لتقديمها للمهاجرين.